ليساعدنها فاصابهنّ ما اصابها وأُغمي على عشرين منهنّ

ولم تزل هذه الحوادث تتكرر والمباحث العلميّة تزيد تدقيقًا الى ان ثبت ان الهستيريا والصرع والخوريا وما اشبه امراض عصبيّة طبيعيّة وعند لها الاطباء فصولاً خاصّة في كتبهم وابانوا انها قد تحدث بالقدوة والانتظار وبكل ما يثير الانفعالات النفسانيّة . واشدُّ الناس تمسُّكًا بالعقائد الدينيّة اذا اصيبت اخته او زوجته الآن بالخوريا او بالهستيريا او بالصرع استدعى لها الطبيب حالاً ليعالجها بحسب صناعته . والّذين كانوا يجنون منذ مئة سنة بان هذه الادواء روحيّة وعلاجها روحي صاروا الآن ينشئون مدارس الطب وينشرون كتب الاطباء القائلة انها امراض طبيعيّة وعلاجها طبيعي . وقد فاز الاطباء بذلك فوزهم في مسئلة المجنون وعاد الناس الى اقوال اطباء اليونان والعرب

نساء الهند

جال في ميدان التحرير والانتقاد في هذه الاثناء كاتبتان بليغتان الأولى عثمانيّة كتبت من الاستانة العليّة الى جريدة القرن التاسع عشر الانكليزيّة تشكو من حال المرأة العثمانيّة وتتظلّم من جور الرجال وتفضيلهم للشركسيات على العثمانيات وتندّد بالكتب الافرنسيّة الّتي وُضعت بين ايدي بنات الاستانة فحبّبت اليهنّ رفع الحجاب وزادت مرارة عيشهنّ مرارةً . والثانية انكليزيّة وهي المركيزة دفرن زوجة اللورد دفرن حاكم الهند كتبت الى جريدة القرن التاسع عشر ايضًا تصف احوال النساء في بلاد الهند وتنفي ما هو شائع عنهنّ وهو انهنّ عائشات عيشة الفهر في خدورهنّ كالطيور في الاقفاص او كالمجرمين في السجون لا يرين الشمس ولا جمال الطبيعة . وتثبت انهنّ راضيات بعيشتهنّ اكثر من نساء المغرب . ولما كان ما كتبته يصدق على كثيرات من نساء هذه البلاد رأينا ان نلخصه ليرى نساؤنا احوال اخواتهنّ في اقصى المشرق وما ترتاح به في امرهنّ واحدة من فضليات نساء المغرب

قالت ان بلاد الهند واسعة الاطراف بعيدة الاكناف واحوال اهاليها وعوائدهم متباينة فما يصدق على بعضهم لا يصدق على البعض الآخر ولذلك لا يمكن ان يطلق عليهم كلهم حكم واحد ولكني اقول بوجهٍ عام ان الوصف الشائع عندنا لنساء الهند وهو انهنّ إمّا زوجات منهمات او ارامل مقهورات او اسيرات مسجونات حيث لا يرين وجه انسان غير

ازواجهنّ لا يصدق عليهنّ الاّ قليلاً فان نساء العامّة يجلن في الاسواق والشوارع كالرجال يقمن باعمالهنّ المختلفة ويشاركن ازواجهنّ واخوتهنّ في الاعياد والحفلات الدينيّة وينتسلن في مياه نهر الكنتك وعلى وجوههنّ سياه البشر والحبور . والمرأة في كل احوالها حاكمة لا محكومة وهي في الغالب المتسلطة على بيتها وقد تتسلط على بلادها . ويظهر ان سلطتها في بلاد الهند ليست دون سلطتها في بلادنا . والحماة والجدّة تتسلطان في بلاد الهند سلطة لانعرفانها في بلادنا

وقد شاهدتُ نساء الهند في احوال الحياة المختلفة فرأيتهنّ جذلات فرحات يتهادين باثوابهنّ ويتنافسن بحلاهنّ ويتجاذبن اطراف الحديث . وجملة القول ان نساء العامّة غير متحجبات ولاهنّ دون رجالهنّ تكشّفًا وسرورًا

اما نساء الخاصّة المتحجبات فيظهر في بادىء الرأي لنا نحن نساء المغرب انهنّ في سجن مخوف بالمكاره والحقيقة انهنّ ألفن عيشة التحجّب فلا يستثقلنها بل يفتخرن بها ويحسبن انهنّ مزين بها على غيرهنّ وهنّ غير محرومات من شيء يرغبن فيه ولذلك لا يحاولن ابدال حالتهنّ بغيرها وتحجبهنّ يحفظهنّ من التجارب والخاطر التي تصادف غيرهنّ . وما ينقصهنّ من التفكّه بمشاهدة ما يتجدّد خارج خدورهنّ يستعضن عنه بما يجدنه فيها من الراحة والسلامة . وعندي ان كثيرات من نسائنا يتمنين ان يقمن في خدر مثل خدور الهنديات ليرتحن من مشاق الحياة واكدارها . ولم ارَ من نساء الخدور الاّ كل انس وبشاشة ونبل وشهامة وترحيب بالغريبة عن طيب نفس لا عن تملّق ولا تزلّف . ولم اكن اخرج من تلك الخدور الاّ وانا شاكرة ما لقيته من الحب والترحيب والانس والنُبل . ونساء الهند لسن متنعمات كنساء مصر والاستانة ولاهنّ محاطات بالخصيان مثلهنّ وهذا ما يزيد في راحتهنّ ورفاهتهنّ

وكل النساء الاوربيات اللواتي اهتممن بامر اخواتهنّ الهنديات حاولن اول كل شيء ان يرفعن الحجاب عنهنّ كأنّ التكشّف غاية ما يحتجن اليه لاصلاح شؤونهنّ على اني ارى التحجّب في احوال المشرق الحاضرة خيرًا من التكشّف من وجوه كثيرة ولا ارى الرجال ولا النساء على استعداد لازالة الحجاب الآن ولا انكر انه يجب ان تسهّل السبل لهنّ ليخرجن من البيوت من وقت الى آخر ويروّضن اجسادهنّ ويروّحن نفوسهنّ ويعلمن اعمالاً تزيل منهنّ السآمة والضجر ولكنني لا اتعرّض لتحصنهنّ بوجه من الوجوه ولا لسنن معيشتهنّ

وقد زرتُ مدارس البنات في بلاد الهند فرأيتهنّ ذكيات العقول سريعات الحفظ واكثر المدارس قائمة بادارة نساء اوربيات ولكنني زرت مدرسة وطنيّة محضة ورأيت البنات فيها

يتعلمنَ اعمال البيت المختلفة مع مبادىء العلوم والفنون وكل بناتها من نخبة العيال الهنديّة و يبقينَ كثيرات متزوجات يتعلمنَ دروسهنَّ و يرضعنَ اطفالهنَّ في وقت واحد

اما النساء اللواتي تعلمنَ في صغرهنَّ ثم تزوجنَ ولم يبتعنَ داخل الحجاب فهنَّ في غاية الادب والتحصُّن خلاف ما هو شائع في كثير من مدن الشرق حيث يقرأ البنات الروايات الغراميّة و يتعلمنَ منها وجوب التكشُّف وكسر قيود الحشمة والادب . اما نساء الهند المتعلمات فلم ارَ منهنَّ ولم اسمع عنهنَّ الاَّ كل ما يمدحنَ عليه فقد حافظنَ على اوصاف المرأة الهنديّة ولم يفقدنَ شيئًا من صفات الحشمة والادب ولم يبدُ منهنَّ شيء يشين اسمهنَّ وعندي ان سيرة هولاء النساء المتعلمات خير منبع لاهالي الهند بان التعليم يفيد المرأة ولا يضرُّ بها

ونساء الفرس في بلاد الهند جديرات بكل مدح واطراء فانهنَّ على جانب عظيم من الفطانة والتهذيب والحريّة مطلقة لهنَّ للدخول في الهيئة الاجتماعيّة وهنَّ زينة لها بظرفهنَّ وذكائهنَّ

ونساء البرهما يخالفنَ نساء الهند في هيئاتهنَّ وازيائهنَّ وعوائدهنَّ فانهنَّ مطلقات كرجالهنَّ ولا شيء يمنعهنَّ من الدخول في الهيئة الاجتماعيّة وكلهنَّ فطنة ونباهة وادب وظرف

ثم التفتت الى المسائل التي تشغل افكار الساسة الانكليز الآن من جهة نساء الهند وهي مسألة الزواج الباكر والترمُّل والتطبيب . اما المسألة الاولى فقالت فيها انهُ يحسن ان يبذل الجهد لاقناع الهنود بتاخير زواج فتياتهم سنتين او ثلاث سنين عن العمر الذي يتزوجنَ فيهِ الآن . وقالت في الترمُّل انهُ اكبر بليَّة على نساء الهند لان الهنود يعتقدون ان الزوج هو غاية المرأة في هذه الحياة ولا فائدة لها بدونهِ فاذا مات وهي مخطوبة لهُ او متزوجة بهِ فقدت كل اسباب الراحة والسعادة ولا سبيل الى ملافاة ذلك الاَّ بانتشار التعليم والتهذيب حتَّى يثبت للهنود ان المرأة معين للرجل وشريكة لهُ لا فضلة زائدة يتعلق وجودها على وجودهِ . واما المسألة الثالثة وهي مسألة تطبيب النساء فاقرَّت فيها انهُ لا يباح للاطباء ان يروا النساء المتحجبات وفي النادر يباح لهم ان يجسوا نبض المريضة من ثقب في الستار ولا يباح لهم ان يفحصوهنَّ فحصًا طبيًّا في كل الامراض الباطنة ولا ان يطببوهنَّ في كل امراض النفاس . ومما يزيد الشرَّ شرًّا ان طب النساء منوط بالقابلات الجاهلات وضررهنَّ اكثر من نفعهنَّ . واشارت في الختام بان الدواء الوحيد لذلك ان يتعلم كثيرات من النساء صناعة الطب بكل فروعها و يذهبنَ الى بلاد الهند لتطبيب نسائها فيفدن بصناعتهنَّ وعلمهنَّ ومباشرتهنَّ و يستفدنَ مالاً واسمًا طيبًا